فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع
فيك وان علت مرتبتك لم يرتفع عليك، وقال بعض الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على
نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنه اخا رجلا ببغداد ثم ان اخاه
ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي رحمه الله اليه هذه الابيات
اذهب فودك من فؤادي طالق ابدا، وليس طلاق ذات البين، فان ارعويت فانها تطليقة
ويدوم ودك لي على ثنتين، وان امتنعت شفعتها بمثالها، فيكون تطليقين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك مني بتة، لم تغن عنك ولاية السيبين، واعلم انه ليس من الوفاء موافقة
الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء المخالفة فقد كان الشافعي رحمه الله اخا محمد بن
عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي فقال
مرض الحبيب فعدته، فمرضت من حذري عليه، واتى الحبيب يعودني، فبرئت من نظري اليه
وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها
الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي
سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان
قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل منه واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللاسلام
وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله عز وجل فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه
ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رحمه الله واثر البويطي الزهد
والخمول ولم يعجبه الجلوس في الحلقة والجمع، واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب
الان الى الربيع بن سليمان، ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه
فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخاء جوهرة
رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا
حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء
ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها كما قيل، وكل مصيبات الزمان رأيتها
سوى فرقة الاحباب هينة الخطب، وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما
منذ ثلاثين سنة ما تخيل الى ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس
على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا
وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه
لم تدم مودته اصلا، وقال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال ان جعلت
مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امري ولا توطئني عشوة ومن
الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد
اشتركا في عداوتك

الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف

بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا
من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه
بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه
وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه
فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم و
قال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد اثم واثموا ومن جعل نفسه
في قدره فقد تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي
بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله
فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما، وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء
من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف
يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا
يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارث
المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى
اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال
من يرفع عنك ثقل التكليف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل
اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية
لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده
سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان
ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين
كيف شئت وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل
عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس
الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف
غيره هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه
فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده
ثلاثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت
اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم
ان الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به
ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق والسيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان
تجتنبه واما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام
به فقد اوحى الله الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم
تحسدهم وقال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)